التسلسل العام للدروس (١٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

نحب أن نتكلم عن المسألة السابقة وهي مسألة قد أشكلت على بعض الإخوة وهي مسألة: الدعاء للكافر.

قد وضحنا ولكن هذا التوضيح كان على عجالة، لأنه كان على وشك الأذان.

نقول: **الدعاء للكافر على أنواع:**

النوع الأول: الدعاء له بالرزق والمال وغير ذلك من أمور الدنيا، فهذا جائز، والنبي ﷺ قد استسقى لقريش.

النوع الثاني: هو أن يدعو لهم بالهداية، أن الله عز وجل يهديهم إلى الطريق المستقيم، وهذا أيضًا نقول: أنه مشروع، فقد ورد أن النبي ﷺ دعا لبعض الكفار كدوس وغيرهم.

النوع الثالث: أن يدعو بالمغفرة للكافر، فهذه المسألة تحتاج تفصيل:

- فنقول: إن كان مراد المغفرة إسقاط حقه من أولئك القوم بأنهم آذوه فلا بأس؛ كمن يؤذى من قبل المشركين فيقول: اللهم اغفر لهم. أي ما وقعوا في حقي، فهذا لا بأس؛ لأنه قد ورد أن نبيًا من الأنبياء آذاه قومه فقال: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**» في حال حياته.
- أما بعد الموت فإنا نقول: أنه لا يجوز للإنسان أن يترحم عليهم، أو يترضى لهم، أو يستغفر لهم.

ويدل على ذلك ما ذكره الله عز وجل في قوله: **{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ}** [التوبة: ١١٣] فنهى الله عز وجل النبي ﷺ أن يستغفر للمشركين.

وقال في حق المنافقين سبحانه وتعالى: **{اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}**[التوبة: ٨٠]، وذلك في قصة موت عبد الله بن أُبي، فلما هلك كان النبي ﷺ يستغفر له ثم نُهي النبي ﷺ أن يستغفر له.

والله عز وجل قال عن المنافقين: **{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٥) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}** [المنافقون: ٥، ٦].

فنقول: الدعاء للكافرين بالرحمة، أو بالمغفرة أو بغير ذلك من الأمور بعد موتهم: هذا أمر متفق على أنه يحرم.

📖**قال المؤلف – رحمه الله –:** «**بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمِ دِينَهُمْ هُوَ اَلْغُلُوُّ فِي اَلصَّالِحِينَ**».

قوله: « **بَابُ مَا جَاءَ** » أي من الأدلة والبراهين.

قوله: « **أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ** » وأيضًا « **وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ** »: أي الدين الحق وهو دين الإسلام إنما « **هُوَ اَلْغُلُوُّ فِي اَلصَّالِحِينَ** »: والغلو: هو مجاوزة الحد، سواء كانت هذه المجاوزة في العبادة التي هي حق الله عز وجل، أو مجاوزة الحد في الاعتقاد كمن يعتقد في هؤلاء أنهم تصرف لهم العبادة، أو أن لهم حقوق كحقوق الله عز وجل ومجاوزة الحد نقول: أنه سبب لكفر الناس.

قوله: « **هُوَ اَلْغُلُوُّ فِي اَلصَّالِحِينَ** »: وخص الصالحين لأن النفوس دائمًا تتعلق بهم، لذلك إذا نظر الإنسان إلى حال الناس تجد أن الناس دائمًا تتعلق بالصالحين، وبالأولياء، وبالعلماء، والصادقين؛ لأن الإنسان يعرف أن هؤلاء هم أقرب إلى الله عز وجل من غيرهم.

والصالح نقول: هو من كان لله تقيًا، قد يكون نبيًا من الأنبياء، وقد يكون وليًا من الأولياء، وقد يكون كعامة الناس ولكن فيه صلاح وحب لله عز وجل.

والغلو كما قلنا لكم: أنه مجاوزة الحد.

ومراد المصنف – رحمه الله – بهذا الباب هو إثبات البراهين والأدلة على أن سبب كفر الناس وسبب ترك الناس للدين إنما هو التعلق بالصالحين، لماذا؟

الجواب: نقول: لأن الناس تتعلق بمن هو قريب في ظنهم إلى الله عز وجل، فلذلك يتركون الدين لأجل أنهم تعلقوا بغير الله عز وجل.

والغلو على أنواع:

النوع الأول: غلو في الاعتقاد؛ كمن يعتقد في رجل صالح أنه ابن لله، أو أن له حقوقًا كحقوق الله، وهذا بلا شك أنه كفر أكبر مخرج من الملة.

النوع الثاني: الغلو في العبادات؛ كمن يغلو في رجل صالح ويطوف على قبره، فنقول: أن هذا من الغلو، وهذا بلا شك أنه كفر أكبر مخرج من الملة.

النوع الثالث: الغلو في المعاملات كمن يحرم كل معاملة من البيع والشراء، أو يحرم الأمور أو المعاملات الدنيوية كما يقع من حال الصوفية، وضد ذلك أيضًا من يبيح كل مسألة من مسائل الدنيا من البيع والشراء فيجيز الربا وغير ذلك، هذا غلو أيضًا، غلو في التحريم أو غلو في التحليل.

النوع الرابع: الغلو في العادات، أي عادات الناس وتقاليدهم وغير ذلك، وهذا نقول: أنه إذا كان فيه غلو فإنه يخشى أن يتدرج هذا الأمر إلى أمر محرم إذا كان هذا الغلو فيه ارتكاب محرم أو فيه مخالفة للشرع؛ كمن يغلو في عادات الزواج أو غير ذلك، فيحصل عند بعضهم من عاداتهم أن يختلط الرجال بالنساء، في الزواج أو غير ذلك من الأمور، فنقول: الغلو في هذه العادات يؤدي بالإنسان إلى الأمر المحرم.

قوله: «**بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ اَلْغُلُوُّ فِي اَلصَّالِحِينَ**»: لكن لو كان الغلو في غير الصالحين: نقول: أيضًا كذلك ولكن الأغلب أن الناس إنما يقع منهم الغلو في الصالحين لأنهم يعتقدون أنهم أولياء لله عز وجل.

📖**قال المؤلف – رحمه الله – وَقَوْلِ اَللَّهِ ﷻ: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ}** [النساء: ١٧١].

قَالَ: هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى اَلشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصُبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ اَلَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا وَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ، وَنُسِيَ اَلْعِلْمُ عُبِدَتْ.

ثم استدل المصنف – رحمه الله – على تحريم هذه المسائل وهي الغلو في الصالحين، أو صرف العبادة لهم، أو إعطائهم حق من حقوق الله عز وجل بقوله تعالى: **{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ}** [النساء: ١٧١].

قوله: { لَا تَغْلُوا} ما المراد بالغلو هنا؟ هل الغلو هنا المراد به المدح أم القدح؟

الجواب: نقول: هذا وهذا، **{ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ }** مدحًا؛ مثل النصارى قالت عن عيسى أنه ابن لله، هذا غلو مدح، أو غلو قدح كما قالت اليهود ووصفت عيسى عليه السلام بأنه ابن للزنا، فنقول: أن هذا بلا شك غلو وكفر بالله عز وجل.

قد يقول قائل: هذه الآية خطاب لأهل الكتاب، ونحن أمة الإسلام، فلماذا المصنف – رحمه الله – جاء بهذه الآية؟ فلماذا لم يأت بآية أو بنص فيه خطاب للمؤمنين أو للمسلمين؟

الجواب: نقول: قال النبي ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**»، فلذلك نقول: أن كل خطاب لأهل الكتاب فإن من المسلمين من يأتي بمثل هذا الفعل أو بمثل هذا القول كما ورد في الحديث.

📖**قال المؤلف – رحمه الله –: «وَفِي اَلصَّحِيحِ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِ اَللَّهِ تَعَالَى: {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا }، قَالَ: هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى اَلشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصُبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ اَلَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا وَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ، وَنُسِيَ اَلْعِلْمُ عُبِدَتْ** ».

قوله: «**قَالَ: هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ**»: أي كان في قوم نوح رجال عباد، أو علماء، المهم أنهم من الصالحين يتعبدون الله عز وجل وهذه أسماءهم: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرًا.

قوله: « **هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ**»: مع أن نوح أُرسل إلى من كفر بالله عز وجل وأشرك بهؤلاء الصالحين.

نقول: يحتمل أن مراد ابن عباس – رضي الله عنه – **بقوله:** « **هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ**»: أي من أرسل فيهم نوح وإن كانوا قبله.

أو يحتمل أن نوحًا كان فيهم فلما أشركوا وكفروا بالله عز وجل أُرسل إليهم، والمراد بذلك أن هؤلاء كانوا من قوم نوح، أي كانوا في وقته، أو أنهم قبله ولكنه أُرسل إليهم.

وهذه الأصنام كانت في قوم نوح، ثم بعد ذلك انتقلت إلى العرب، فسواع انتقلت إلى هذيل، ويغوث انتقلت إلى مراد، ويعوق انتقلت إلى همدان، ونسر انتقلت إلى حمير.

قوله: « **انْصُبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ** »: أي اجعلوا في أماكنهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا أي نصب تذكاري سواء كان على هيئة هذا الرجل أو أنه صنم مقارب له، أو نصب على غير صورة، وسموها بأسمائهم، لماذا؟

الجواب: حتى تتعلق النفوس بهذه النصب، كأن يقال: هذا نصب ود، وسواع، ويغوث، ويعوق.

قوله: «**وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا وَلَمْ تُعْبَدْ**» أي أن هذا الجيل لم يعبدها، لماذا؟

الجواب: لأنه يعرف أن هذه الأشياء إنما وضعت من باب التذكر حتى نتذكر عبادة هؤلاء ونعبد الله سبحانه وتعالى.

قوله: «**حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ، وَنُسِيَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ**»، من هم؟

الجواب: أي الذين وضعوا تلك النصب، حتى إذا ماتوا وانقطع أثرهم، وجاء قوم من بعدهم ونسوا العلم الذي من أجله وضعت هذه الأصنام عبدوهم من دون الله عز وجل فكفروا.

📖**قال المؤلف – رحمه الله –: قَالَ اِبْنُ اَلْقَيِّمِ: قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ اَلسَّلَفِ: (لَمَّا مَاتُوا، عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمْ اَلْأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ.**

قوله: «**قَالَ اِبْنُ اَلْقَيِّمِ: قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ اَلسَّلَفِ: لَمَّا مَاتُوا، عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ**»: أي أنهم جلسوا طويلًا على قبورهم، هذه هي الدرجة الأولى: أنهم عكفوا أي مكثوا طويلًا متذللين عند قبورهم.

قوله: «**ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ**» هذا في المرحلة الثانية.

قوله: «**ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمْ اَلْأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ**»: وهذا هو الشاهد أنهم عبدوهم من دون الله عز وجل، وهذا كله يدل على أن مجاوزة الحد في الصالحين وتعظيم الصالحين إنما هو سبيل للوقوع في هذا الأمر العظيم وهو الشرك بالله عز وجل.

ولكن لو قال قائل: كيف انتقلت هذه الأصنام إلى العرب مع أنها كانت في قوم نوح؟

الجواب: انتقلت هذه الأصنام إلى العرب، فتوازع الناس، فود أخذتها قبيلة كلب، وتفرقت هذه الأصنام بين القبائل كما سبق، يقال: بأن عمر بن لُحي الخزاعي هو أول من جلب الأصنام، واختلف العلماء في طريق الجلب هل جلبها من ساحل جدة أو أنه جاء بها من الشام؟

فقال بعض العلماء: بأن عمر بن لحي كان له رِئي من الجن، يخاطبونه لأنه كان ملك العرب مطاع، سيد في قومه، فخاطبه الجن فقالوا له: أبا ثمامة أجب بلا ملامة، وائت سيف الجدة تجد به أصنامًا معدة. فذهب إلى ساحل جدة وهو البحر فحرث الأرض وذلك بعد أن غرق قوم نوح وأصنامهم وغير ذلك، فبقيت هذه تحت الأرض، فأخبروه بمكانها ثم بعد ذلك استخرج هذه الأصنام، ثم لما جاء الحج وكان مطاعًا في قومه، وزع هذه الأصنام على هذه القبائل فعبدوهم من دون الله عز وجل وكفروا بسبب هذا الرجل وهو عمر بن لحي الخزاعي.

وقيل: أنه جلبها من الشام، أنه ذهب إلى الشام فوجد الناس يعبدون هذه الأصنام من دون الله عز وجل فأعجب بذلك، وأن أهل الكتاب أعطوه هذه الأصنام فأخذها ثم بعد ذلك نشرها، لذلك عاقبه الله عز وجل بأنه يجر قتبه في نار جهنم، كما ذكر النبي ﷺ.

📖**قال المؤلف – رحمه الله –: وَعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ اَلنَّصَارَى اِبْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا عَبْدُ اَللَّهِ وَرَسُولُهُ»، أَخْرِجَاهُ.**

قوله: « **لَا تُطْرُونِي** »: الإطراء هو بمعنى مجاوزة الحد في المدح، ولكن الكاف هنا في قوله: « **لَا تُطْرُونِي كَمَا** »، ما المراد بها؟ هل هي للتشبيه أو للتعليل؟ للتشبيه: يعني بمعنى أنكم لا تقولون كما قالت النصارى: أن عيسى ابن الله، وبعد ذلك قولوا ما شئتم من المدح والإطراء، هذا إذا قلنا: على أنه للتشبيه.

وإذا قلنا: للتعليل. وهذا هو الصحيح، أن الكاف هنا للتعليل « **لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ** » العلة أنهم جاوزوا الحد في الإطراء، فكفروا بالله عز وجل.

وعلى ذلك نقول: « **لَا تُطْرُونِي كَمَا** » الكاف هنا للتعليل، والمراد بذلك أن هذا الإطراء يؤدي بكم إلى الغلو، ومجاوزة الحد في المدح، لذلك يقول البوصيري:

فإن من جودك الدنيا وضرتها   ومن علومك علم اللوح والقلم

قوله: فإن من جودك الدنيا. كيف من جودك؟ أي من عطائك الدنيا، فقط؟

الجواب: لا، إنما الدنيا وضرتها، فما هي الضرة؟

الجواب: هي الآخرة.

ومن علومك علم اللوح والقلم: أي أن هذه من علوم النبي ﷺ، وهذا بلا شك أنه إطراء مذموم ولا يجوز، لماذا؟

الجواب: لأن الدنيا والآخرة وعلم اللوح إنما هي من الله سبحانه وتعالى.

قوله: «**عَبْدُ اَللَّهِ وَرَسُولُهُ**»، لماذا جاء بهذين الوصفين؟

الجواب: **قوله:** « **عَبْدُ اَللَّهِ** » رد على الغلاة الذين يطرون النبي ﷺ، ويقولون: بأنه ليس بشر، أو يشبهون النبي ﷺ، أو يخصونه بخصائص الله.

قوله: « **وَرَسُولُهُ** »: رد على الجفاة الذين قالوا: بأن النبي ﷺ ليس بنبي إنما هو ساحر، أو كاهن، أو غير ذلك من الأوصاف.

قوله: « **أَخْرِجَاهُ.** »: نقول: أن الصحيح أنه أخرجه البخاري فقط.

📖**قال المؤلف – رحمه الله –: وَقَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اَلْغُلُوُّ».**

قال: عن ابن عباس. وفي بعض النسخ لم يذكر ابن عباس، بل قال: «**قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ**»: وذلك حينما أمر النبي ﷺ ابن عباس أن يلقط شيئًا من الجمرات أو الأحجار لرمي الجمار قال ا لنبي ﷺ: « **إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ** »: أي احذروا الغلو وهو مجاوزة الحد، «**فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اَلْغُلُوُّ**».

قد يقول قائل: هل سبب إهلاك الناس أي من الأمم السابقة إنما هو الغلو فقط؟

الجواب: نقول: لا، المراد بذلك أن من أسباب هلاك الناس السابقين أو من أكبر أسباب هلاك الناس إنما هو الغلو، مع أنه يوجد أمور أخرى كان بسببها هلاك الناس:

منها: أنه كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، هذا سبب من أسباب هلاك الناس، ولكن من أكبر أسباب هلاك الناس في الأمم السابقة إنما هو الغلو في الصالحين؛ كما قال النبي ﷺ: « **إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ** »: أي مجاوزة الحد، سواء كان في الاعتقاد أو مجاوزة الحد في التعبد.

📖قال المؤلف – رحمه الله –: «وَلِمُسْلِمٍ عَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: هَلَكَ اَلْمُتَنَطِّعُونَ».

قوله: « **هَلَكَ** »: دعاء أو أنه خبر؟

الجواب: يحتمل هذا ويحتمل هذا.

قوله: « **اَلْمُتَنَطِّعُونَ** »: التنطع هو بمعنى التعمق، والمتعمقون هم المتنطعون، وذلك فيمن يتعمق في كلامه، من يتعمق في أسلوب إلقائه، من يتعمق في فصاحته، نقول: أن هذا من التنطع المذموم.

والتنطع نقول: أنه أقسام –كما قلنا لكم: أن الغلو أقسام – أيضًا كذلك **التنطع أقسام:**

القسم الأول: التنطع في الاعتقادات، كاعتقادات الملاحدة؛ بإنكار وجود الله عز وجل وغير ذلك.

القسم الثاني: التنطع في العبادات كمن يبالغ في بعض العبادات فيخرج بذلك إلى الوصف المذموم.

القسم الثالث: التنطع في المعاملات كمن يحرم على نفسه أو يحرم على غيره المعاملات الدنيوية من البيع والشراء وغير ذلك.

القسم الرابع: التنطع في المباحات كمن يتنطع بأن يحرم على نفسه بعض المأكولات أو المشروبات، أو الملبوسات، أو غير ذلك ويتقرب بذلك إلى الله سبحانه وتعالى.

القسم الخامس: التنطع في العادات: أي عادات القبائل أو عادات البلدان أو غير ذلك، فإذا كان هذا التنطع يؤدي بالإنسان إلى فعل محرم أو ترك واجب فإنا نقول: أن هذا يعد من جملة الأمور المحرمة، والنبي ﷺ قال: « **هَلَكَ اَلْمُتَنَطِّعُونَ** »: أي المتعمقون، المتكلفون سواء في الاعتقاد أو في العبادات، أو في الأمور المباحة، أو في المعاملات، أو في المنطق والكلام، أو في التكلف في كثير من الأمور التي يعتادها الناس مثلًا قضايا حياتية كالزواج وإكرام الضيف وغير ذلك، قد يتنطع بعض الناس ويتعمق، ويتكلف فيؤدي به إلى أنه يقع في المحظور.

📖**قال المؤلف – رحمه الله –: «بَابُ مَا جَاءَ مِنَ اَلتَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اَللَّهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟! »**

قوله: «بَابُ مَا جَاءَ»: أي من الأدلة والبراهين في حكم هذه المسألة.

قوله: «مِنْ اَلتَّغْلِيظِ»: أي من التشديد في هذه المسألة.

قوله: «فِيمَنْ عَبَدَ اَللَّهَ»: أي كانت العبادة لله عز وجل.

قوله: «عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ»: أي أن المكان لغير الله» مع أن العبادة لله ولكن المكان لغير الله سبحانه وتعالى.

قوله: «فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟! »، " فَكَيْفَ ": هنا للإنكار، «**فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟!** »: فهذا من باب أولى وأشد وأشنع أنه كفر بالله عز وجل.

وهذا الباب له مناسبة مع الباب السابق، فالباب السابق مجاوزة الحد في الصالحين، أو الغلو في الصالحين، كمن يعبد الصالحين، أو يصرف لهم شيء من الطاعات، أو الاعتقادات، فكانت العبادة لغير الله.

أما هذا الباب العبادة لله، ولكن المكان لغير الله؛ كما سبق في أبواب سابقة مشابهة لصنيع المصنف – رحمه الله – في هذا.

📖**قال المؤلف – رحمه الله –: فِي اَلصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اَللَّهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ اَلْحَبَشَةِ، وَمَا فِيهَا مِنْ اَلصُّوَرِ، فَقَالَ: «أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمْ اَلرَّجُلُ اَلصَّالِحُ أَوْ اَلْعَبْدُ اَلصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ اَلصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ اَلْخَلْقِ عِنْدَ اَللَّهِ». فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا بَيْنَ اَلْفِتْنَتَيْنِ فِتْنَةَ اَلْقُبُورِ، وَفِتْنَةَ اَلتَّمَاثِيلِ.**

قوله: « فِي اَلصَّحِيحِ »: المصنف – رحمه الله – أحيانًا يقول: « **فِي اَلصَّحِيحِ** »: ويريد بذلك البخاري، وأحيانًا مسلم، وأحيانًا يقول: « **فِي اَلصَّحِيحِ** » ويريد بذلك أنه في الصحيحين أي البخاري ومسلم، وهنا قوله: « **فِي اَلصَّحِيحِ** »: أي البخاري ومسلم.

قولها: « أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ»: وهي هند بنت أبي أمية المخزومية.

قولها: «ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اَللَّهِ ﷺ»: وذلك بعد أن رجعت من الهجرة من الحبشة.

قولها: «ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اَللَّهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ اَلْحَبَشَةِ»: وهذه الكنيسة كان يقال لها: مارية.

قولها: «وَمَا فِيهَا مِنْ اَلصُّوَرِ»: أي وما فيها من الأصنام المعظمة من دون الله عز وجل.

قولها: «فَقَالَ: «**أُولَئِكِ**»: يحتمل «**أولئكَ**»، «**أولئكِ**» أي يا أم سلمة، وإذا قلنا: «**أولئكَ**» أي من فعل هذه الأشياء.

قوله: «إِذَا مَاتَ فِيهِمْ اَلرَّجُلُ اَلصَّالِحُ أَوْ اَلْعَبْدُ اَلصَّالِحُ»: ويحتمل أن النبي ﷺ أراد بذلك التنويع أي الرجل الصالح أو العبد الصالح .

قوله: «بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا»: سواء هذه البناية يصلى فيها أو يعظم فيها ذلك المعبود من دون الله عز وجل.

قوله: «**وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ اَلصُّوَرَ**»: أي صورة أولئك الأموات من الصالحين.

قوله: «**أُولَئِكَ شِرَارُ اَلْخَلْقِ عِنْدَ اَللَّهِ**»، لماذا؟

الجواب: لأن التصوير هو سبب للكفر بالله عز وجل، لذلك كانوا شرار الخلق عند الله.

وعلى ذلك نقول: حكم وضع الأموات في المسجد، أي وضع القبور في المسجد:

نقول: باتفاق العلماء أن هذا أمر محرم، بل هو وسيلة للشرك بالله عز وجل، لذلك النبي ﷺ - كما سيأتي - لعن في آخر حياته من اتخذ القبور مساجد.

واتخاذ القبور مساجد يأتي على صور:

الصورة الأولى: من وضع ميتًا في المسجد أي بنى له قبر في المسجد.

الصورة الثانية: من جاء إلى القبر فوضع المسجد على القبر.

الصورة الثالثة: من صلى إلى قبر أو سجد على قبر فإنا نقول: أنه اتخذه مسجدًا لأنه صرف له شيء من العبادة.

حكم الصلاة في المسجد الذي فيه قبر:

١. إذا كان هذا القبر داخل المسجد، فالأظهر: أن الصلاة لا تصح، لنهي النبي ﷺ عن ذلك، وللعنه من فعل ذلك، ولا فرق أن يكون القبر قبلة المسجد أو عن يمين المسجد، أو عن شمال المسجد أو خلف المسجد، فالحكم واحد أن الصلاة لا تجوز، ولا تصح؛ لنهي النبي ﷺ ولعنه من اتخذ القبور مساجد، ونهى النبي ﷺ بقوله: «**لا تصلوا إلى القبر ولا على قبر**».

٢. أما إن كان هذا القبر خارج المسجد وبينه وبين ذلك المسجد حاجز فإن الصلاة تصح بشرط أن الإنسان لا يصلي ويقصد بركة ذلك المكان الذي هو قبر ذلك الميت.

حكم الصلاة إلى قبر: كأن يكون الإنسان مثلًا في فلاة، في البر، فمر على قبر فحكم الصلاة إلى ذلك القبر أي بمعنى أنك تجعله قبلة لك.

نقول: الصلاة إلى قبر لا تجوز، كما أن الصلاة على القبر أيضًا لا تجوز، بل إن الصلاة في سطح المقبرة لا تجوز؛ لنهي النبي ﷺ عن الصلاة إلى قبر أو على قبر، فكل ذلك من الأمور المحرمة، وعلى ذلك نقول: أن الصلاة على قبر أو إلى قبر أو الصلاة في المسجد الذي فيه قبر لا تصح.

حكم الصلاة في المقبرة: الصلاة في المقبرة، إن كانت الصلاة صلاة الجنازة لا بأس؛ لأنه ورد أن النبي ﷺ صلى على قبر المرأة السوداء، أما إن كانت هذه الصلاة ذات ركوع وسجود كصلاة العصر أو نافلة فإن الأظهر: أن الصلاة في المقبرة لا تجوز، ولا تصح؛ لأنها وسيلة للشرك بالله عز وجل.

حكم التمسح بالقبر: التمسح بكل بقعة لقصد التعبد فإنه لا يجوز إلا ما ورد به الشرع وهو الحجر الأسود، أما غيره فإنا نقول: أنه لا يجوز للإنسان أن يتمسح بقصد التعبد، فمن تمسح بقبر، فجاء إلى قبر ووضع يده فإنا نقول: أن هذا يعد من الأمور المحرمة.

قوله: «**فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا بَيْنَ اَلْفِتْنَتَيْنِ: فِتْنَةَ اَلْقُبُورِ، وَفِتْنَةَ اَلتَّمَاثِيلِ**»: فتنة القبور وفتنة التماثيل هي أعظم فتنة، وعلى ذلك نقول: مبدأ الشرك في العالمين من طائفتين:

الطائفة الأولى: هم قوم نوح، وقع منهم شرك الصور أو التصاوير والأصنام والقبور.

الطائفة الثانية: قوم إبراهيم عليه السلام وقع شركهم في النجوم، والكواكب وغير ذلك.

لذلك النبي ﷺ كثيرًا ما ينهى عن الصلاة على قبر، أو الصلاة إلى قبر، أو يحرم اتخاذ القبور مساجد كما سيأتي، كذلك قال النبي ﷺ: «**لا تصلوا بعد العصر ولا تصلوا بعد الفجر**»، ونهى عن الصلاة عند الغروب وعند الشروق، لماذا؟

الجواب: قطعًا لوسيلة الشرك التي وقعت من قوم إبراهيم لأنهم عظموا الكواكب فعبدوها من دون الله عز وجل.

📖**قال المؤلف – رحمه الله –: وَلَهُمَا عَنْهَا، قَالَتْ: «لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اَللَّهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اِغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا فَقَالَ: وَهُوَ كَذَلِكَ «لَعْنَةُ اَللَّهُ عَلَى اَلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اِتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَوْلَا ذَلِكَ؛ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا » أَخْرَجَاهُ.** .

قوله: « **وَلَهُمَا عَنْهَا** » من هي؟

الجواب: هي عائشة.

قوله: « **اِتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ** »: الاتخاذ هنا يشمل: وضع القبر في المسجد، ووضع المسجد على القبر، والصلاة إلى القبر أو السجود عليه، فإن هذا كله يعد من اتخاذ القبور مساجد.

قوله: يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَوْلَا ذَلِكَ؛ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا. أَخْرَجَاهُ: وهذا من كلام عائشة – رضي الله عنها –.

قولها: « **يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا** » أي يحذر ما صنع أولئك القوم وهم أهل الكتاب، والنبي ﷺ قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**»: فهو يحذر أن هذا الفعل يعد من جملة الشرك بالله عز وجل، لذلك قال: « **لَعْنَةُ اَللَّهُ** »: وهو دليل على أن هذا يعد من أكبر الكبائر.

قولها: « **يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَوْلَا ذَلِكَ؛ أُبْرِزَ قَبْرُهُ** »: أي لجعل قبره بارزًا، ولكنه خاف ﷺ أو أن الصحابة خافوا لو أبرز وترك قبره كل ينظر إليه وكل يدخل إليه كل يزوره أن يعظم فيقع الشرك بالله عز وجل.

لذلك قالت: « **غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا** » أو « **أنه خشي أن يتخذ مسجدًا**» أخرجاه.

📖**قال المؤلف – رحمه الله –: وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اَللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ اَلنَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اَللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اَللَّهَ قَدْ اِتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اِتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَلَوْ**

كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَّا فَلَا تَتَّخِذُوا اَلْقُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ».

قوله: « أَبْرَأُ »: أي أمتنع.

قوله: « أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ »: والخلة هي أعلى درجات المحبة.

قوله: «فَإِنَّ اَللَّهَ قَدْ اِتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اِتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا»: وهذا يدل على أن النبي ﷺ خليل الله، كما أن إبراهيم خليل الله ﷺ.

قوله: «وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا»: وهذا يدل على فضيلة وميزة أبي بكر على غيره من الصحابة.

وهنا قول النبي ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»: هذا التحذير الأول، يحذر أنهم كانوا يتخذون أي فلا تتخذوا.

التحذير الثاني: قوله: «أَلَّا فَلَا تَتَّخِذُوا اَلْقُبُورَ مَسَاجِدَ»: هذا تأكيد على التحذير الأول.

التحذير الثالث: قوله: «فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»: أي عن هذا الفعل.

📖قال المؤلف – رحمه الله –: فَقَدْ نَهَى عَنْهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ لَعَنَ – وَهُوَ فِي اَلسِّيَاقِ – مَنْ فَعَلَهُ، وَالصَّلَاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يُبْنَ مَسْجِدٌ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهَا: «خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»، فَإِنَّ اَلصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا لِيَبْنُوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَكُلُّ مَوْضِعٍ قُصِدَتِ اَلصَّلَاةُ فِيهِ، فَقَدِ اُتُّخِذَ مَسْجِدًا، بَلْ كُلُّ مَوْضِعٍ يُصَلَّى فِيهِ، يُسَمَّى مَسْجِدًا، كَمَا قَالَ ﷺ: «جُعِلَتْ لِيَ اَلْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ».

قوله: فَقَدْ نَهَى عَنْهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ لَعَنَ – وَهُوَ فِي اَلسِّيَاقِ – مَنْ فَعَلَهُ، وَالصَّلَاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يُبْنَ مَسْجِدٌ: أي أن الصلاة عند القبر من ذلك، أو الصلاة في المقابر من ذلك، أي أنها تدخل في نهي النبي ﷺ.

قوله: وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهَا: وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: «خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»، فَإِنَّ اَلصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا لِيَبْنُوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا: أي بمعنى أن الصحابة لم يدور في خلدهم ولا خلد أحد من الناس أن الصحابة يضعون النبي ﷺ داخل المسجد، أو أنهم يضعون على قبر النبي مسجدًا، هذا لا يمكن؛ ولكن الصلاة عند القبر أو على القبر من هذا الأمر، فحذر النبي ﷺ حتى لا يصلي أحد عند قبره.

وَلِأَحْمَدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ – رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُ – مَرْفُوعًا: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ اَلنَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمْ اَلسَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ اَلْقُبُورَ مَسَاجِدَ» وَرَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ فِي صَحِيحِهِ.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.